

حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الحديث والاستماع والقراءة والكتابة

د. صحراوي غريب

جامعة آكلي محند - البويرة - الجزائر

ملخص:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن مما كانت تفخر به جزيرة العرب على سائر الأمم هو اللسان العربي المبين، فاللسان العربي في جزيرة العرب أخذ حتى أداة لكسب المال، والشهرة وحلّ الأمور المستعصية، ليس هذا فقط بل كان للحرب نصيب من روعة اللسان وبلاغته، ومع ما وصلت إليه العرب من طلاقة في اللسان، ومع أنّ نزول القرآن كان بلسانها إلا أنه جاء بأسلوب مغاير تماما فلا هو شعر ولا هو نثر، إلا أن اتصاله باللسان العربي أمر أكيد، وقد أكد ابن خلدون على قوة العلاقة بين جودة الحفظ وملكة اللسان، إذا كان الأمر كذلك فما هي جوانب الملكة التي يمكن أن يُحصّلها حافظ القرآن الكريم؟ وما مدى تأثيرها بحفظ القرآن الكريم ودارسته؟

مباحث البحث:

وللإجابة عن الإشكال المطروح ضمنت موضوع البحث المحاور التي تخدمه مبتدئا ببيان دعوة الإسلام إلى ضرورة حفظ القرآن الكريم.

- 1 - دعوة الإسلام لحفظ القرآن الكريم ودارسته.
- 2 - حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الاستماع.
- 3 - حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الحديث.
- 4 - أثر حفظ القرآن في تنمية ملكة القراءة والكتابة.

Abstract:

In the name of god and peace be upon his messenger.

One of the most things that the Arab island was known with and used to be proud of in front of all other nations was the Arabic tongue. It was even used to gain money and fame, and solve difficult issues. In addition, Arabic was also used to describe wars. The Arabs were so fluent in Arabic besides that the “Quran” came in the Arabic language, but it came in a very different style because it was neither poem nor prose. “Ibn khaldoun” confirmed that there is a strong relation between good memorization and language competence.

If it is so, what are the abilities that “Quran’s memorizers” can obtain from that? And to what extent they can be influenced by memorizing “Quran” and studying It?

Research’s parts:

- 1/ Islam’s call for studying and memorizing Quran.
- 2/ Memorizing Quran and its impact on the acquisition of listening competence.
- 3/ Memorizing Quran and its impact on the acquisition of speaking competence.
- 4/ Memorizing Quran and its impact on the acquisition of reading and writing competence.

تقديم:

الحمد لله أنزل الفرقان خلق الإنسان فعلمه البيان، والصلاة والسلام على النبي الأمي العدنان، الذي أفرغ الله العلم في قلبه إفراغا وخصه بتزّل القرآن، فأوتي جوامع الكلم ، ونطق فأعرب ببيان وبعد:

فإن مما كانت تفخر به جزيرة العرب على سائر الأمم هو اللسان العربي المبين إذ جمع بين الشعر البليغ والنثر البديع، والأسلوب القصصي الرائع، والفن الخطابي المؤثر الذي يهزّ المشاعر والوجدان، فاللسان العربي في جزيرة العرب أخذ حتى أداة - نتيجة حلاوة الكلام وطلاوة البناء - لكسب المال، والشهرة وحلّ حتى الأمور المستعصية، ليس هذا فقط بل كان للحرب نصيب من روعة اللسان وبلاغته، فكان لشعراء القبائل مكانة مهمة وخطيرة في تحريض قلوب المحاربين على القتال لما يملكه الشاعر من قوة ساحرة يؤثر بها على نفوس المقاتلين، فيبعث الشجاعة في قلوب، ويحبط الهمم لدى آخرين، فاتّحد السنان واللسان، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلّم في قوله لحسان بن ثابت رضي الله عنه: "اهجهم وروح القدس معك" (1).

ومع ما وصلت إليه العرب من طلاقة في اللسان وقوة في البيان، ومع أنّ نزول القرآن كان بلسانها إلا أنه جاء في ثوب غير تلك الأثواب، وفي صورة غير تلك الصّور، فكان نسيج وحده، وصورة ذاته، فلا هو شعر، ولا هو نثر، ولا

(1) انظر محمود أبو الفضل الأوسي . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . ج1ص317 . طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

هو سجع، بل ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ ﴿١١﴾ ﴿٢١﴾ ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ ﴿٢٢﴾ (١)،
شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء، أكد ذلك الوليد بن المغيرة في نادي
البلاغة، نادي قريش فكان مما قال لما سمع القرآن من في رسول الله صلى
الله عليه وسلم: " .. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر
أعلاه مُغْدِق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته " (٢) تحدى الله به
العرب فأعجزهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، بله سورة واحدة قال الله
تعالى: ﴿قُلْ لِّإِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ (٣)، فهو مأدبة الله، وحرى
بكل مؤمن، بله عالم أن يتعلم من مأدبته ما استطاع، فعن ابن مسعود رضي الله
عنه أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: " إنَّ هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من
مأدبته ما استطعتم، وإنَّ هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين والشفاء النافع،
عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوجَّ فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا
تنقضي عجائبه " (٤).

(١) سورة البروج آية رقم ٢١، ٢٢.

(٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . ج ١ ص ٢٦٩ . مصدر الكتاب موقع الإسلام.

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٨٨.

(٤) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. المستدرک على الصحيحين ج ١ ص ٧٤١. الطبعة الأولى دار
الكتب العلمية بيروت . سنة ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.

وإذا كان حفظ القرآن هو الأساس الأول من أسس التعليم، وهو مسلك لا بدّ منه في تحصيل المعارف وإتقان العلوم - الشرعية على وجه الخصوص - فإن اتصاله باللسان العربي أكد، وقد أكد ابن خلدون على قوة العلاقة بين جودة الحفظ وملكة اللسان فقال: " إنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلّم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه، وكثرتة من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ ⁽¹⁾، فكيف إذا كان المحفوظ كلام من قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً.

إذا كان الأمر كذلك فما هي جوانب الملكة التي يمكن أن يحصلها حافظ القرآن الكريم؟ وما مدى تأثيرها بحفظ القرآن الكريم ومدارسه؟.

وللإجابة عن الإشكال المطروح ضمّنت موضوع البحث المحاور التي تخدمه مبتدئاً بإبراز دعوة الإسلام إلى ضرورة حفظ القرآن الكريم.

المبحث الأول: دعوة الإسلام لحفظ القرآن الكريم و مدارسته

يعد الحفظ من حيث الأصل أحد الركائز الكبرى لرسوخ القدم في العلم، وتعد الذاكرة القوية ميزة طالبة العلم بله العلماء، ومن استقرأ السير الذاتية للعلماء الأعلام أدرك أن من أهم أسباب ارتقائهم وعلو كعبهم و بلوغهم الدرجات العلا في مختلف

⁽¹⁾ عبد الرحمن بن خلدون - مقدمة ابن خلدون - ص 656. 658 - طبعة شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت.

التخصصات قوة الحافظة لديهم، وكثرة الاعتناء بالحفظ حتى جعلوه درية لهم، وقد
اشتهر عن الإمام الشافعي⁽¹⁾ قوله:

علمي معي حيثما يمتت ينفعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق
ولقد اعتبر العلماء قوة الحافظة هبة من الله يعطيها أوليائه على وجه
الخصوص، ولقد ذكر الإمام الشافعي . رحمه الله . أن عينه وقعت على معصية
فضاع منه من العلم ما ضاع، وهو ما جعله يرتجز قائلا:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي⁽²⁾ .
وقد شكى الصّحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي لرسول الله كثرة
نسيانه فدعا له رسول الله . صلى الله عليه وسلم . روى البخاري عنه . رضي الله
عنه . أنه قال: قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه، قال: (أبسط
رداءك)، فبسطه فغرف بيديه ثم قال: (ضمّه)، فضممته فما نسيته شيئا بعده⁽³⁾ .

⁽¹⁾ محمد بن إدريس الشافعي - ديوان الشافعي . ص 94 . تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي .
طبعة الشركة التجارية . مكة المكرمة . سنة 1409 هـ ، 1988 م .

⁽²⁾ المرجع نفسه - ص 95

⁽³⁾ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - ج 1 ص 56 . تحقيق مصطفى ديب البغا . الطبعة
الثالثة . دار ابن كثير اليمامة . بيروت . سنة 1407 هـ ، 1987 م .

ولقد كان العلماء من السلف يحثون طلابهم و تلاميذهم على ضرورة الحفظ في نيل العلوم وإدراكها ولما قصرت الهمم دون ذلك جمعوا لهم أصول المعارف والعلوم في مختلف التخصصات والفنون على شكل منظومات ومتون قصد الحفظ والاستظهار، ثم توضع عليها الشروح والحواشي، حتى تفهم المسائل التي سجلها الطالب في الذاكرة كأنه يراها رأي العين ليكون ذلك أدعى للفهم وأوفر للعقل وعونا على الطلب⁽¹⁾، وقد تردد قديما على السنة أهل العلم من حفظ المتون حاز الفنون، ولما تقاصر طلبة العلم عن الحفظ سار العلماء إلى تقييد العلوم بالكتابة و لذلك قيل⁽²⁾:

العلم صيد والكتابة قيد قيد صيدك بالحبال الوثيقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بلا قيود طالقة

ومن غريب القول وعجيبه أن يرمي العجزة في هذا الزمان من جمع الفنون حفظا بالجمود كونه لا يعدوا أن يكون نسخا أخرى مما حفظ دون فهم وإدراك، وهل الحفظ إلا عون على الفهم والإدراك، وقد أثبت العلم أن ذاكرة الإنسان عضلة من عضلاته تقوى بالتدريب والتمرين، وتضعف وتهزل بترك ذلك، وكلما كثر الحفظ

⁽¹⁾ انظر عبد الله سلمي - أثر حفظ القرآن في تنمية المهارات اللغوية . ص5 - مقال نشر بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى.

⁽²⁾ الشافعي - مرجع سابق ص.96

اتسعت الذاكرة، ولقد جاء في الأثر: كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع⁽¹⁾.

هذا وأعظم النصوص وأقدسها النص القرآني، وهو أولى بالحفظ من غيره، يسره الله لذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿١٧﴾⁽²⁾. وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه في الصدور والسطور فيتعبد بتلاوته غيباً، أنزله على قلب سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . وتكفل بحفظه من الضياع والنقص والتحريف، يحقق هذا المعنى ما جاء في الذكر الحكيم من قوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾⁽³⁾. وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) في بداية أمره يخشى أن يتفَلَّت منه القرآن، فكان يحرك به لسانه فطمأنه الله عزّ وجلّ بأنه مجموع في صدره، وصدور الذين أوتوا العلم، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿٤﴾⁽⁴⁾، جاء عن ابن كثير ما ملخصه: " هذا تعليم من الله تعالى لنبيه . صلى الله عليه وسلم . في كيفية تلقى الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك

⁽¹⁾ أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة . ج 19 ص 25 . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي وشركاه.

⁽²⁾ سورة القمر. آية رقم 17.

⁽³⁾ سورة الحجر . آية رقم 09.

⁽⁴⁾ سورة القيامة . آية رقم 16، 17.

في قراءته⁽¹⁾ جاء عن ابن عباس . رضي الله عنهما: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفثيه يريد أن يحفظه مخافة أن يتفَلَّت منه شيء أو من شدة رغبته في حفظه، فأنزل الله تعالى هذه الآيات⁽²⁾ . وكان سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدارسه جبريل عليه السلام القرآن الكريم في كل سنة مرة من شهر رمضان وفي آخر سنة من عمره صلى الله عليه وسلم دارسه جبريل القرآن مرتين من نفس الشهر عناية منه بهذا الكتاب الشريف القدر والمكانة⁽³⁾ . وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يحث أصحابه على حفظ القرآن الكريم ويحدد لهم المراجع في ذلك جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "اقرأوا القرآن من أربعة نفر من ابن أم عبد . فبدأ به . ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة ومن معاذ بن جبل"⁽⁴⁾ وكان يمتدح من يتغنّى به فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: " لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد

⁽¹⁾ أبو الفدا إسماعيل بن كثير - تفسير القرآن العظيم . ج 8 ص 304 - الطبعة الأولى دار ابن حزم - بيروت لبنان - سنة 1423 هـ ، 2002 م.

⁽²⁾ بدر الدين العيني . عمدة القارئ شرح صحيح البخاري - ج 36 ص 219 - مصدر الكتاب - ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث.

⁽³⁾ جاء في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها قالت: "أسر إلي - تعني أبأها حدثها سرا - فقال لها: إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة و إنه عارضني العام مرتين و لا أرى الأجل إلا قد اقترب" - انظر البخاري - الجامع الصحيح المختصر - ج 3 ص 1326.

⁽⁴⁾ محمد بن حبان - صحيح ابن حبان بترتيب ابنت بلبان - ج 3 ص 11 - طبعة مؤسسة الرسالة - وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أوتيت زممارا من زمامير آل داود ⁽¹⁾، وكان يفاضل بينهم في ضبط القراءة وتجويدها، روى الترمذي وابن ماجه عنه - صلى الله عليه وسلم - في حديث يعدد فيه فضائل الصحابة ومنه " وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب " ⁽²⁾. وقد كان الصحابة في مستوى هذا التوجيه فهما ووعيا وعملا وسلوكا فاستمروا على ذلك حفظا وتعلما، وتواتر النقل عنهم جيلا بعد جيل. وقد جعل الله الأفضلية العامة والخيرية المطلقة لمن تعلم القرآن وعلمه فكان حلقة ربط في سلسلة النقل المتواتر، قال صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" ⁽³⁾، وقد ركز ابن خلدون - رحمه الله - على تعليم الناشئة حفظ القرآن الكريم وأهميته في بناء المعارف وتثبيت العقائد فقال: " اعلم أن تعلم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الله ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان .. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده لأن

⁽¹⁾ البخاري - الجامع الصحيح - باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن - ج 4 ص 1925، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري - الجامع الصحيح صحيح مسلم - ج 2 ص 193 - طبعة دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة بيروت.

⁽²⁾ الحاكم - المستدرک - ذکر مناقب زيد بن ثابت كاتب النبي صلى الله عليه وسلم - ج 3 ص 477.

⁽³⁾ البخاري - الجامع الصحيح - ج 15 ص 438.

السَّابِق الأول للقلوب كالأساس للملكات، وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه ⁽¹⁾.

فالقرآن الكريم هو الأساس لكل الملكات، وهو المقدم في الحفظ والتعلم وما بعده يعد بمنزلة التابع، فبحفظ القرآن يوجه ابن الجوزي - رحمه الله - طالب العلم، فيقول: "لينظر ما يحفظ من العلم فإن العمر عزيز والعلم عزيز وإن أقواما يصرفون الزمان إلى حفظ ما غيره أولى منه وإن كان كل العلوم حسنا ولكن الأولى تقديم الأهم و الأفضل، وأفضل ما تشغل به حفظ القرآن ثم الفقه وما بعد هذا بمنزلة تابع ⁽²⁾، ويؤكد الأمر ذاته شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جاء عنه في التركيز على أولوية حفظ القرآن الكريم: "وأما طلب حفظ القرآن فهو مقدم على كثير مما يسميه الناس علما وهو إما باطل أو قليل النفع، وهو أيضا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات بأن يبدأ بحفظ القرآن فإنه أصل علوم الدين ⁽³⁾".

هذا ويعد التلقي و السماع عن المشايخ المتقنين من أنجع طرق تعلم القرآن الكريم، وهو ما كان عليه السلف، وهو حال الحفظ في كثير من الزوايا والكتاتيب بأرضنا، وفي كثير من البلاد الإسلامية ليجمع الحافظ بين جودة السماع وسداد الكتابة وصوابها.

⁽¹⁾ ابن خلدون - مرجع سابق - ص 614.

⁽²⁾ ابن جوزي - صيد الخاطر - باب فصل بين الخطأ و التوبة - ص 313.

⁽³⁾ أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - الفتاوى الكبرى - ج 1 ص 195 - الطبعة الأولى - دار المعرفة بيروت - سنة 1409هـ، 1988م.

وقد تلقى الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم مشافهة عن رسول الله صلى عليه وسلم، جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: " أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين صورة ⁽¹⁾، ومن الذين أتقنوا حفظ القرآن مشافهة عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ عنهم فقال: "خذوا القرآن عن أربعة نفر من ابن أم عبد - فبدأ به - ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة و من معاذ بن جبل ⁽²⁾."

وأخذ عن هؤلاء من الصحابة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأبي موسى الأشعري - رضي الله عنهم - وعنهم أخذ كبار التابعين.

المبحث الثاني: حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الاستماع:

1- تعريف الملكة اللسانية:

جاء في المعجم الوسيط أن الملكة تعني: "صفة راسخة في النفس، أو هي استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة" ⁽³⁾ مثل الملكة العددية والملكة اللغوية، وملكة الخطابة والملكة الشعرية وقد تدل الملكة على الملك والامتلاك، أي ما أستطيعه وأملكه.. وجمع ملكة ملكات، وهو جمع مؤنث سالم،

⁽¹⁾ بدر الدين العيني عمدة القارئ . ج 29 ص 83.

⁽²⁾ - سبق تخريجه.

⁽³⁾ إبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين - المعجم الوسيط - ج 2 ص 886 - تحقيق مجمع اللغة العربية - طبعة دار الدعوة.

ومن هنا فالملكة لغة هو نوع من الاستعداد النفسي والفطري والعقلي لتناول أعمال معينة بحصافة وحنكة ونضج وإبداع وذكاء ودقة ومهارة، وإتقان، وجودة، وإدراك، وصناعة، وأما في الاصطلاح فالملكة هي ما نحصل عليه بالمران والدرية، والتعلم والصقل والمعاناة والتكرار، حتى تصبح صفة راسخة في نفس المتكلم يقول الشريف الجرجاني: "الملكة هي صفة راسخة في النفس فالنفس تحصل لهل هيئة بسبب فعل من الأفعال (...) وتسمى حالة مادامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها، وصارت بطيئة الزوال، فتصير ملكة وبالقياص إلى ذلك الفعل عادة وخلقاً" (1).

فالملكة إذن حالة مستمرة بطيئة راسخة في نفس الإنسان تتبني على أفعال مكررة إلى أن تتحول الملكة إلى عادة وخلق وصناعة.

2- الملكة اللسانية عند ابن خلدون:

يذهب ابن خلدون كذلك إلى أن الملكة هي صفة راسخة في النفس تمكن الإنسان من القيام بالأعمال العائدة إليها، فهي هنا في اللسان لتمكّنه من أداء العمل العائد إليه، وهو التعبير عن المعاني، ويحصل التفاوت في تمام هذه الملكة أو نقصانها، ويقاس بجودة التعبير عن المعاني أو قصوره، أي بإتقان الفن اللساني، جاء عنه: " اعلم أن اللغات ملكات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي

(1) علي بن محمد الجرجاني - التعريفات - ص296 - تحقيق إبراهيم الأبياري - الطبعة الأولى دار الكتاب العربي - بيروت - سنة 1405 هـ .

ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها⁽¹⁾.

ويؤكد ابن خلدون على أن تمام الملكة اللسانية إنما هو بالنظر إلى التراكيب اللغوية لا المفردات، فهي التي تؤدي المعنى المقصود من المتكلم، جاء عنه: " وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع⁽²⁾.

ويشير ابن خلدون في الأخير إلى أن تمكن هذه الملكة يحصل بقانون التكرار، فيحصل الارتقاء بسبب هذا التكرار من الصفة إلى الحال غير الراسخة في النفس إلى الصفة الراسخة، وهو ما يعرف بالملكة يقول ابن خلدون: " والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة⁽³⁾.

3- أثر القرآن في ملكة السّماع:

يعد السمع أحد المستقبلات الهامة التي يترتب عليها أثر الفهم والإدراك في العمل ولذلك اعتبره الشارع الحكيم نعمة كبرى تترتب عليها مسؤوليات عظيمة، قال

(1) ابن خلدون - مرجع سابق - ص 358.

(2) المرجع نفسه ص 358.

(3) المرجع نفسه ص 359.

تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) (١)، قال ابن كثير رحمه الله: "أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد، سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتساءل عنه وعمّا عمل فيها" (٢)، ومن معالم الرسالة الكبرى لسيدنا رسول الله - صلى اله عليه وسلم - تلاوة القرآن، قال تعالى: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾ (١٢٩) (٣)، ومن مقتضيات التلاوة جودة الاستماع، فحسن الاستماع مهارة ذات قيمة عالية، إذ هي الوسيلة الأولى التي يسلكها المتعلم لتعلم اللغة، وهي طريقة التلقي، والإنسان بطبعه يميل للاستماع، وهو يستمع أكثر مما يتكلم، وجودة الاستماع تحقق قوة الإدراك، وفهم المسموع والتفاعل معه، وهو ما حصل لأبي الوليد لما قرأ عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) صدر سورة فصلت إذ أخذ بمجامع سمعه، فما كان من الرجل إلا أن قال لقومه: "والله إن كلامه لحلاوة، وإنّ عليه لطاوة وإنّ أسفله لمغدق، وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ له ليعلى ولا يعلى عليه" (٤).

يقول الدكتور احمد فؤاد عليان: " الاستماع ليس عملية سهلة فهو لا يقتصر على استقبال الصوت المسموع وإدراك معاني الكلمات والجمل فحسب، بل يتطلب فوق هذا الاندماج الكامل بين المتكلم والمستمع، كما يحتاج من المستمع إلى بذل

(١) سورة الإسراء آية رقم 36.

(٢) ابن كثير - مرجع سابق - ج 3 ص 171.

(٣) سورة البقرة - آية رقم 129.

(٤) أبو عبد الله ابن قيم الجوزية - الصواعق المرسلّة - ج 1 ص 240 - تحقيق علي بن محمد الدخيل - الطبعة الثالثة دار العاصمة الرياض - سنة 1418 هـ ، 1998 م.

الجهد الذهني حتى يستخلص المعلومات ويحللها وينقدها، فالاستماع أداء كامل يتطلب استخدام حواس البصر والسمع والعقل في متابعة المتكلم وفهم معنى ما يتكلم، وتحديد أفكاره واسترجاعها، وإجراء عملية ربط بين الأفكار المتعددة ⁽¹⁾، كل ذلك دفع بالمعاندين من كفار قريش إلى التواصي على عدم السماع إلى القرآن والاشتغال باللغو للصدود عن التلاوة خشية التأثير بسماع القرآن وإدراك المنهج الحق قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢٦⁽²⁾.

قال ابن كثير رحمه الله: " أي إذا تلي لا تستمعوا له، كما قال مجاهد (وألغوا فيه) يعني بالمكء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا قرأ القرآن قريش تفعله ⁽³⁾."

إذن وظيفة الاستماع تعتمد أساسا على الإنصات إلى الشيء المنطوق ومحاولة فهمه وإدراك معناه وبيان مراده، ولخطورة الإنصات وقوة أثره أمر سبحانه وتعالى المؤمنين على عكس صنيع الكفار أن ينصتوا لتلاوة القرآن وألا يتشاغلوا عن تلاوته، وربط المولى جلا وعلا تحقيق الرحمة بقوة الإنصات والأخذ بمجامع السمع فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

⁽¹⁾ د. أحمد فؤاد - المهارات اللغوية - ص 50 - الطبعة الأولى - دار العلم - الرياض 1413هـ.

⁽²⁾ سورة فصلت آية رقم 26.

⁽³⁾ ابن كثير - مرجع سابق - ج 4 ص 2548.

تَرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴿١﴾. وإذا قرن حسن الاستماع مع حسن وجودة المسموع حصل الانتفاع، وفي ذلك أخبر ربنا جلّ وعلا عن نفر من الجن لما استمعوا إلى القرآن من في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عودته من الطائف وفهموا المنهج الحق الذي جاء به تمكنت الهداية من قلوبهم قال تعالى: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ أُسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿٢﴾.

4 - بيان ملكات الاستماع التي تتأثر بحفظ القرآن:

عرّف المختصون: الاستماع على أنه عملية عقلية تتطلب جهدا يبذله المستمع في متابعة المتكلم وفهم معنى ما يقوله⁽³⁾، وقيل هو: "عملية عقلية إيجابية مقصودة"⁽⁴⁾، فالاستماع إذن عملية مكتسبة تقتضي الفهم والإدراك والتحليل، حيث يستقبل فيها المستمع المادة الصوتية محاولا فهمها وتحليلها ونقدها لتحسين ملكات التواصل. ولكون حفظ القرآن الكريم غالبا ما يكون عن طريق التلقي، أي السماع الصوتي، فإنه يغرس في نفس حافظه عدة ملكات أبرزها:

أ - ملكة إدراك هدف المتحدث ومقصوده: وهي ملكة يدركها من جمع القرآن حفظا بسهولة لأن القرآن الكريم قد بلغ الغاية في البيان والإعجاز في البلاغة، إذ يدرك

(1) سورة الأعراف - آية رقم 204.

(2) سورة الجن - آية رقم 01.

(3) انظر فتاوى الشبكة الإسلامية - تعريف الاستماع والإنصات - ج4 ص 3979.

(4) المرجع نفسه ج4 ص 3979.

قارئ آياته الهدف منها، ولم يزد النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يغير النفوس ويخاطب العقول والقلوب على تلاوة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ ﴿٢﴾⁽¹⁾، بل يتعدى هذا الإدراك إلى التأثير في النفوس، والشيء إذا تكرر تقرر، وحافظ القرآن يكتسب مهارة تكرار القراءة يتردد ذلك معه في جميع سور القرآن، فيمتلك الدربة على إدراك الغاية من كل كلام يسمعه ويحاول فهم معنى تراكيب ألفاظه، وفي القرآن الكريم نقراً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٧﴾⁽²⁾ قال ابن كثير - رحمه الله: " قال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن... (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)، أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه. وقال محمد بن كعب القرظي: فهل من منزجر عن المعاصي؟، وجاء عن ابن أبي حاتم هل من طالب علم فيعان عليه؟"⁽³⁾ وكل ذلك مرتبط بادراك وفهم معاني التراكيب اللغوية لآي القرآن الكريم، فحافظ القرآن الكريم يتمرن على فهم معاني التراكيب اللغوية حتى تكون لديه ملكة في فهم كل سياق لغوي بمجرد الاستماع إليه.

ب- ملكة تذوق الكلام الراقى العذب: من يحفظ القرآن ويتعهد تلاوته تتأثر نفسه بحال الأسلوب القرآني وقوة فصاحته وروعة بلاغته ما يجعله يمايز بينه وبين غيره من الأساليب، ولو كانت أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي

⁽¹⁾ سورة الجمعة - آية رقم 02.

⁽²⁾ سورة القمر - آية رقم - 40، 32، 22، 17.

⁽³⁾ ابن كثير - مرجع سابق - ج 4 ص 2759.

أوتي جوامع الكلم، ولا يشترط في من يتذوق بلاغة الأسلوب القرآني أن يدرك معرفة ما فيه من تشبيهات بليغة واستعاراته وكنائياته، ومجازاته وأوجه التقديم والتأخير، وكل بديع فيه... الخ

جمال أسلوب القرآن الكريم وقوة تأثيره في النفس والانفعالات اللاإرادية التي تحصل للمستمع سواء كانت بالرضا والفرح والسرور والارتياح، أم كانت بالخوف والرجاء و... هو الذي دفع بأبي الوليد لأن يضع يده على في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يناشده التوقف عن قراءة القرآن الكريم لما استمع إلى بداية سورة فصلت: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَرٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلَ إِنَّا عَمِلُونَ ۝﴾ (1). ذكر وقع هذا السياق البلاغي العجيب، والنغم الموسيقي لهذه الآيات التي فصلت (فصلت آياته)، أي: "ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال، ومواعظ ووعد ووعيد، وغير ذلك وقرئ فصلت، أي: فرقت بين الحق والباطل" (2). يقول الزمخشري: "الأكنة جمع كنان، وهو الغطاء، والوقر (بالفتح) الثقل وقرئ بالكسر. وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق

(1) سورة فصلت - آية رقم 1، 2، 3، 4، 5.

(2) الزمخشري - الكشاف ج4 ص 179، 180 - الطبعة الخامسة - دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة 2009م.

واعتقاده، كأنها في غلف وأعطية تمنع من نفوذه فيها⁽¹⁾. هذا الأسلوب الفريد هو الذي دفع **بأبي الوليد** لأن ينفي كون القرآن سحرا أو شعرا قائلا: " والله ما هو بالشعر ولا بالنثر، ولا يشبه كلام البشر"⁽²⁾. وقد أكد هذا الكلام الدكتور إبراهيم الشافعي في قوله: " إن الرجل العامي لا يعرف كناية ولا مجازا ولا استعارة بالمعنى الاصطلاحي، لكنه يتذوق ويتأثر، وينفعل بانفعالات الرضا والسرور، والحزن والخوف، والرجاء والأمل، وما إلى ذلك من أحاسيس ومشاعر "⁽³⁾.

ت- ملكة تذكر المعلومات وتسلسل الأحداث في وحدة موضوعية: حفظة القرآن الكريم هم أكثر الناس امتلاكاً لهذه الملكة، لأن حفظ القرآن ينمي ملكة التذكر وقوة الاحتفاظ، بما يسمح للعلاقة الطردية بين قوة الحافظة أو الذاكرة، وحفظ القرآن الكريم لأن حفظ القرآن الكريم يتطلب استمرارية تكرار الآيات المقررة للحفظ، وفي هذا الشأن يقال: ليس بينه وبين حفظه إلا الرياضة بفكه، وقد أثبتت الدراسات أن هذا التكرار له اثر ايجابي في تنشيط وتقوية عمل الذاكرة، ولأن حفظ القرآن يتطلب حفظ الألفاظ عن ظهر قلب دون تغيير أو تبديل مما يساعد على تنمية ملكة تذكر المعلومات بصورة مرتبة ومتسلسلة، يؤكد هذا تفوق الحافظين

(1) المرجع نفسه - ج4 ص180.

(2) ابن القيم - مرجع سابق - ج01 ص240.

(3) إبراهيم محمد الشافعي - التربية الإسلامية وطرق تدريسها - ص140 - الطبعة الأولى مكتبة الفلاح - بيروت - سنة 1401هـ، 1980م.

والحافظات للقرآن الكريم في الدراسة على جميع المستويات ونيلهم الرتب الأولى⁽¹⁾.

المبحث الثالث: حفظ القرآن وأثره على اكتساب ملكة الحديث

البداية ينبغي للمتحدث أن يكون ذا مهارة في إيصال ما لديه إلى الآخرين ليحدث تأثيراً في نفوسهم حتى تتغير إلى ما يريد، بحيث يتم الكلام وفق نظام محدد بخطوات متسلسلة تبدأ بالاستشارة الداخلية فالتأثير الخارجي الذي يدعو المتحدث لإنشاء كلامه، ويليه التفكير في المعاني التي يسعى إلى الإفصاح عنها وإبانتها في قالب لفظي، يقتضي ذلك صياغة الألفاظ التي تدل على تلك المعاني بإتقان تام لتكون الخطوة الأخيرة، والمتمثلة في الأداء لصوتي لتراكيب الألفاظ التي استقرت في ذهن المتحدث، وكل ما سبق يتم في سرعة وتلقائية دون الشعور بفواصل بين هذه الخطوات.

ولحفظ القرآن الكريم وتلاوته والاستماع إليه أثر بالغ في محاكاة أسلوبه إنشاءً، فالذي يحفظ القرآن يتأثر بأسلوبه وبيانه فينطبع به، وتستقر في نفسه عظمة القرآن، فينعكس على أسلوبه إيجابياً، فيكون شديد الحرص حين يحدث الناس أن يؤثر فيهم، ويتحتم عليه أن يجتهد في اصطفاء أفضل الألفاظ لأفضل المعاني، ويستقي ذلك كله من القرآن، ومن تأثر بشيء حاكاه حتى يصبح ذلك لديه ملكة، يقول الدكتور محمد صالح الشنطي: "ويقصد بمهارة

⁽¹⁾ أ. فائزة جميل محمد - أثر حفظ القرآن في تنمية مهارات الاستقبال اللغوي - ص 280 - رسالة ماجستير - جامعة أم القرى - ستة 1421هـ، 1422هـ.

التحدث مهارة نقل المعتقدات والأحاسيس، والاتجاهات والمعاني، والأفكار والأحداث في طلاقة وانسياب مع صحة في التعبير و سلامة في الأداء ⁽¹⁾، والحافظ للقرآن يجمع بين جودة السماع وسلامة النطق، وهو ما يميزه عن غيره، وقد أكد ابن خلدون - رحمه الله - بأن العربية الفصحى ملكة كانت تكتسب بالسماع ولا يحتاج أن يتعلمها على يد معلم. ⁽²⁾

وكان يقال على لسان العربي: ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن عربي أقول فأعرب.

وليست هذه الملكة متاحة لكل الناس وفي الحديث: " إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار " ⁽³⁾. ففي الحديث نهى عن تلبس الباطل بالحق الذي يورث المظالم (ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته عن بعض)، أي أفصح وأقوى كلاماً، ويقال فلان حجيح وفلان ذو جدل يقوى على غيره في الحجة، وفي القرآن الكريم نقراً قوله تعالى:

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِيَ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي

⁽¹⁾ المهارات اللغوية، د. محمد صلاح الشنطي، ص 194 - الطبعة الخامسة دار الأندلس - سنة 1424هـ، 2003م.

⁽²⁾ ابن خلدون - مرجع سابق - ص554.

⁽³⁾ أبو عبد الله الشيباني - مسند أحمد بن حنبل - باب مسند أبي هريرة - رضي الله عنه - ج2 ص332 - طبعة مؤسسة قرطبة القاهرة.

الْحِطَابِ ﴿٢٣﴾^(١)، ففي قوله: (وعزني في الخطاب) "وغلبنني، يريد جاعني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أردته به" ^(٢).

1- ملكات التحدث التي تتأثر بالقرآن الكريم.

أ- معرفة مخارج الحروف وصفاتها: أكثر من يحقق مخارج الحروف من مخارجها ويسلم نطقه بضبط صفاتها هم الذين يتلقون القرآن سماعا عن أهله، ويضبطونه وفق أحكام تجويده، ذلك لأن حفظ القرآن سنة متبعة يأخذها التلميذ عن الشيخ المتقن الذي يحرص كل الحرص عند إسماع القرآن على تحقيق مخارج الحروف وصفاتها، ولا يقبل من قارئ القرآن أن يقصر عن ذلك.

كل ذلك يورث ملكة الإتقان الصوتي لحافظ القرآن الكريم فهو أتقن المتحدثين صوتا، وأفضلهم معرفة وتطبيقا لمخارج الحروف ^(٣).

وقد ذهب علماؤنا إلى أن من عجائب حفظ القرآن الكريم أن من حفظه عن ظهر قلب امتاز عن غيره بمزايا وفضائل كثيرة منها، اكتساب ملكة اللسان ونماء مهارات اللغة لديه، كاستقامة اللسان وإخراج الأصوات من مخارجها وحسن الأداء الصوتين وزيادة الثروة اللغوية، وإتقان جوانب الإلقاء وغيرها.

ب - جريان اللسان على ضبط النحو و التصرف: الخطأ في ضبط الكلمة يؤدي إلى فساد المعنى المراد فالحلم بضم الحاء يختلف عن معناه حالة كسرهما

^(١) سورة ص - آية رقم 23.

^(٢) الزمخشري - مرجع سابق - ج 4 ص 80.

^(٣) د. أحمد فؤاد عليان - مرجع سابق - ص 96-99.

ولربما استحال الفاعل مفعولا فتغير المعنى المراد، وتصور معي من يقرأ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (٢٨^(١)) لفظ الجلالة بالرفع، أو من يقرأ في قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (٣^(٢)) رسوله بالكسر بدل الضم. هذا وإتقان حفاظ القرآن الكريم لهذه المهارة أمر ظاهر، والشواهد الحيّة تثبتته، فهو الذي (القرآن) يكسب هذه الملكة حتى تكون بديهية عند المتحدث، يقول ابن خلدون: " وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات " (٣).

ت- ملكة استخدام الثروة اللغوية: الذي أجمع عليه أهل اللغة أن حفظ القرآن يزيد من الثروة اللفظية، فالذي يتلو القرآن الكريم يفيد من ألفاظه وأساليبه، والذي يجالس حفظة القرآن الكريم يسمع على ألسنتهم كثيرا من ألفاظ القرآن، وجمله بل وأساليبه، وذلك مثل قولهم: " صم بكم " تعبيرا عن عدم الاستجابة، وقولهم: " لا يسمن ولا يغني من جوع " استهانة بالأمر، ومثل ذلك كثير.

ث- ملكة مطابقة الكلام لمقتضى الحال: اتفقت تعريفات علماء اللغة للبلاغة بأنها مطابقة للكلام لمقتضى الحال مع جودته وفصاحته وفي هذا المعنى يقول الجاحظ: " ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من

(١) سورة فاطر - آية رقم 28.

(٢) سورة التوبة - آية رقم 03.

(٣) ابن خلدون - مرجع سابق - ص 614.

الأسماء" ⁽¹⁾ ولاشك في أن أرفع كلام وأبلغ حديث هو القرآن الكريم، إذ الفرق بينه وبين غيره من الكلام كالفرق بين الخالق والمخلوق، والقارئ للقرآن الكريم يجد مقامات متعددة ومتنوعة في أي وسور القرآن، ففيه مقام التعريف ومقام التذكير، ومقام الإطلاق ومقام التقييد، ومقام الذكر ومقام الحذف .. وتجد في القرآن ذكر القصص، والأخبار السالفة، وذكر الوعد والوعيد، ومقام الجلال والجمال، ولكل كلمة أو لفظة مع ما يناسبها مقام، والذي يحفظ القرآن الكريم ويكرره يتأثر به في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو الاعتبار المناسب عند علماء البلاغة.

المبحث الرابع: أثر حفظ القرآن في تنمية ملكة القراءة والكتابة

1 - تنمية ملكة القراءة:

لا يقتصر مفهوم القراءة على التعرف على الرموز المكتوبة ونطقها، بل يتعدى ذلك إلى التفاعل مع النص تذوقا وفهما وتفسيرا ونقدا، ولذلك يعتبرها الباحثون عملية عقلية تعتمد على بعض المهارات التي تمكن القارئ من التعرف على تراكيب ألفاظها والنطق بها وفهمها، وتعتبر القراءة محور علوم العربية، ولا يستقيم الأمر إلى بها، يقول الدكتور سليمان العايد: "فإن الأمر لا يستقيم إلا بجعل القراءة محور علوم العربية، وثمرتها التي تسخر جميع الفروع لنيلها وقطفها، وأن تكون المقياس الذي نعرف به مدى استيعاب وإفادة الطالب مما درسه في

⁽¹⁾ الجاحظ - الحيوان - ج3 ص39 - تحقيق عبد السلام محمد هارون - الطبعة الثالثة مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - سنة 1388هـ، 1969م.

العربية بمقاييس ومعايير يعرفها أهل الاختصاص⁽¹⁾، ومن أظهر الملكات التي تتأثر بحفظ القرآن الكريم مهارة القراءة لأن حفظ القرآن هو قراءة غيبية للنص القرآني مع كثرة تكراره وفق ضوابط علم القراءات، كأحكام الوقف والابتداء، والترقيق والتفخيم، والإدغام والغنة، وتحسين الصوت بالقراءة، ومراعاة إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة وضبط الحركات، فقارئ القرآن يتعود على تعرف الكلمات ونطقها نطقاً سليماً خالياً من اللحن.

أ- مهارات القراءة التي تتأثر بحفظ القرآن: للقراءة مهارات كثيرة بعضها يتقاطع مع مهارة الاستماع كفهْم مضمون النص، ومراد المتكلم ومقصود الكلام، وبعضها يتقاطع مع مهارات التعرف، كإتقان الصوت وسلامة النطق.

ومن المهارات التي تنفرد بها القراءة اعتدال الصوت، وتنظيم النفس، وإحسان الوقف والابتداء وحسن الأداء، وتحليل النص المقروء والحكم عليه أو له ونفقه وتحليله، كل ذلك يتأثر بحفظ القرآن وكثرة تلاوته.

2- تنمية ملكة الكتابة:

عرف علماء اللغة الكتابة بأنها عبارة عن: تحويل الأصوات اللغوية إلى مخطوطة على الورق أو غيره، متعارف عليها بقصد نقلها إلى الآخرين، بقصد التوثيق والحفظ وتسهيل نقل المعرفة⁽²⁾، وتعد الكتابة وسيلة من وسائل

⁽¹⁾ أ.د. سليمان العايد - القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه - ج 3 ص 144 - جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - سنة 1418هـ، 1997م.

⁽²⁾ د. محمد صالح الشنطي - مرجع سابق - ص 205.

البشر، وأداة لحفظ التراث ونقله، واتصال الحاضر بالماضي، وهي وسيلة من وسائل الإبداع بواسطتها ينقل إلينا الأدباء والشعراء عذب القول وجميل القصيد، وقد قسم العلماء الكتابة إلى قسمين هما:

أ- **الكتابة الإبداعية:** وتقوم على كشف الأحاسيس والمشاعر، والعواطف الإنسانية، والابتكار في الأفكار، وتخيل المعاني، وكل ذلك يحتاج إلى ملكة فطرية مركوزة في النفس، فهي تعبر عن رؤية شخصية ذات أبعاد شعورية ونفسية وفكرية... وليس كل من خط بالقلم يمكنه أن يبتكر الأساليب أو يبدع في الأفكار.⁽¹⁾

ب- **الكتابة الوظيفية:** ومجالاتها متعددة ككتابة التقارير، والبحوث والمذكرات الشخصية، والتقارير الإدارية وغيرها من مجالات الحياة⁽²⁾.

وقد أكد ابن خلدون . رحمه الله . أثر حفظ القرآن الكريم وتلاوته على الكتابة بما لا يدع مجالا للشك، فقال: " .. أن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام الجاهلية في منظومهم ومنثورهم ... فإننا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة، وجرير والفرزدق و... ثم كلام السلف من العرب في الدولة الأموية وصدرنا من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وعلقمة بن عبدة وطرفة ابن العبد، ومن كلام

⁽¹⁾ د. أحمد فؤاد عليان - مرجع سابق - ص 157.

⁽²⁾ المرجع نفسه - ص 157.

الجاهلية في منظومهم ومحاورتهم... والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث، اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما، لكونها ولجت في قلوبهم، ونشأت على أساليبيها نفوسهم... فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة، وأصقل رونقا من أولئك⁽¹⁾.

فيسخدم المتعلم ما حفظ من القرآن الكريم، وفهم من أساليبيه، وذلك بأن ينسج كلاما على منوال ما حفظ، فتحصل له الملكة بهذا الحفظ والاستعمال على مر الزمان.

الخاتمة:

جاءت هذه الدراسة لتكشف عن العلاقة القوية بين حفظ القرآن الكريم ومدارسه، وتنمية الملكات اللغوية العامة والجزئية، وقد ثبت الإعجاز والتحدي بأقصر سورة منه على أن يأتوا بشبهها، والعرب وقتئذ هم أرباب اللغة والبيان، فهو الطبقة العالية من الكلام، انعكس حفظه إيجابيا على ملكة القراءة والكتابة والحديث والسماع، وقد أثبتت الدراسات الميدانية التمايز العجيب في هذا بين من لهم صلة بالقرآن ومن انقطعت صلتهم به، وهو ما أثبتته ابن خلدون وغيره في دراستهم العميقة، وبناء على هذه النتائج نسوق التوصيات التالية:

1- دعم كل المؤسسات المشرفة على تعليم القرآن الكريم رسمية كانت أو غير رسمية.

⁽¹⁾ ابن خلدون - مرجع سابق - ص 555.

- 2- إعطاء الأولوية لوضع مقررات تعليم القرآن الكريم في المدارس الرسمية.
 - 3- وضع مقررات تتضمن حفظ القرآن الكريم في الكليات الشرعية وكليات الأدب، خصوصا أقسام اللغة والدراسات القرآنية.
 - 4- إبراز العلاقة بين حفظ القرآن الكريم في الملكات اللغوية، والعناية بالدراسات التي تناولت الموضوع
 - 5- العناية بالأساتذة المختصين في هذا المجال وطبع بحوثهم ودراساتهم.
- والله نسأل أن يكون هذا البحث خالصا لوجهه الكريم وأن يكون نافعا في بابه.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم وعلومه.

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2. تفسير القرآن العظيم - أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - الطبعة الأولى - دار ابن حزم - بيروت لبنان - سنة 1423هـ، 2002م.
3. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الرّمخشري - الطبعة الخامسة - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - سنة 2009م.
4. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود أبو الفضل الألويسي - طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الحديث النبوي وعلومه:

5. الجامع الصحيح المختصر - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق مصطفى ديب البغا - الطبعة الثالثة - دار ابن كثير اليمامة بيروت - سنة 1407هـ، 1987م.
6. الجامع الصحيح (صحيح مسلم) - أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - دار الجيل بيروت لبنان.

7 - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان معاذ بن معبد التميمي - مصدر الكتاب - مؤسسة الرسالة.

8 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني الحنفي - مصدر الكتاب - ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث.

9 - المستدرک على الصحيحين - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - الطبعة الأولى دار الكتب العلمية بيروت - سنة 1411هـ، 1990م.

10 - مسند أحمد بن حنبل - أبو عبد الله الشيباني - مؤسسة قرطبة - القاهرة.

11 - المعجم الأوسط - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق طارق بن عوض الحسيني - طبعة دار الحرمين - القاهرة.

12 - السيرة النبوية لابن هشام - أبو محمد عبد الملك بن هشام البصري - مصدر الكتاب موقع الإسلام.

مراجع مختلفة:

13 - التربية الإسلامية وطرق تدريسها - إبراهيم محمد الشافعي - الطبعة الأولى مكتبة الفلاح - سنة 1401هـ، 1980م.

14 - الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - تحقيق د. علي بن محمد الدخيل - الطبعة الثالثة - دار العاصمة الرياض - سنة 1418هـ، 1998م.

- 15 - صيد الخاطر - ابن الجوزي - مصدر الكتاب موقع الـورّاق.
- 16 - الفتاوى الكبرى - أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية - الطبعة الأولى دار المعرفة - بيروت - سنة 1409هـ، 1988م.
- 17 - مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - طبعة شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت.

كتب اللغة و المعاجم:

- 18 - أثر حفظ القرآن الكريم في تنمية مهارات الاستقبال اللغوي - أ. فايزة جميل محمد - رسالة ماجستير جامعة أم القرى - سنة 1421هـ، 1422هـ.
- 19 - التعريفات - علي بن محمد بن علي الجرجاني - تحقيق إبراهيم الأبياري - الطبعة الأولى - دار الكتاب العربي - بيروت - سنة 1405هـ.
- 20 - الحيوان - أبو عثمان عمر بن بحر المعروف بالجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون - الطبعة الثالثة - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - سنة 1388هـ، 1969م.
- 21 - ديوان الشافعي - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي - تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي - طبعة المكتبة التجارية - مكة المكرمة - سنة 1409هـ، 1988م.

22 - شرح نهج البلاغة - أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

23 - القراءة الجهرية بين الواقع وما نتطلع إليه - سليمان العايد جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - سنة 1418هـ، 1997م.

24 - المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار - تحقيق مجمع اللغة العربية - طبعة دار الدعوة.

25 - المهارات اللغوية وطرائق تدريسها - د. أحمد فؤاد عليان - الطبعة الأولى - دار العلم الرياض - سنة 1413هـ.

26 - المهارات اللغوية مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها - د. محمد صالح الشنطي الطبعة الخامسة - دار الأندلس - سنة 1424هـ، 2003م.